دراسات فی العلوم الإنسانية
۲۹(۳)، الخريف ۱۴۴۴/۱۴۰۱/۲۰۲۲، صص ۹۳-۱۱۳
ISSN: 2538-2160
http://aijh.modares.ac.ir
مقالة محكمة
DOR: 20.1001.1.23834269.1444.29.3.9.6

كربلاء وعاشوراء وأثرهما في تحكيم الهوية الشيعية
(دراسة في الشعر العربي من العصر الإسلامي إلى العصر البويهي)

زهرة ناعمي*

أستاذة مساعدة بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الخوارزمي

تاريخ الوصول: ۱۴۴۲/۱۱/۱۳ تاريخ القبول: ۱۴۴۳/۱/۱۷

الملخص

الهوية هي حقيقة الشخص أو الشيء أو الجماعة والشعب. ما من كائن بدون هوية في عالم الوجود. للهوية أنواع، من ذلك: الهوية التاريخية، واللغوية، والدينية، والاجتماعية، والثقافية. هذه الورقة تستهدف دراسة أثر كربلاء وواقعة عاشوراء في الهوية التاريخية، والاجتماعية والثقافية للشيعة في الشعر الشيعي القديم، من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري، مبنيةً على منهج تحليل المحتوى النوعي. يرتكز هذا البحث على شعر عشرة شعراء شيعيين قدماء. تتوصل هذه المقالة إلى نتائج منها: إنّ كربلاء بعد قيام الإمام الحسين (ع)جزءٌ من تاريخ الشيعة وهويتهم التاريخية وهويتهم السياسية، لايمكن فكه عنها فالشعراء حفظوها في دواوينهم، كما أنّها هي العامل الأساس في وحدة الشيعة. الآداب الاجتماعية والثقافية الخاصة بالشيعة في يوم عاشوراء التي تشكل هويتهم الاجتماعية والثقافية، ليست ذات بُعد وجداني عاطفي فقط بل لها أبعاد سياسية، وروحية ودينية أيضا. فالشاعر الشيعي يتمسك بها في شعره لتحكيم الوحدة بين أبناء قومه و الحفاظ على هويتهم الدينية وصيانتها من التحريف والزيف. فنرى الشعراء الشيعة القدماء لا يميلون كثيرا إلى بيان تفاصيل واقعة عاشوراء، بل يتحدثون عن الكليات التي تشكل أسس معتقداتهم.

المفردات الرئيسة: كربلاء، الشعر العربي القديم، الهوية الشيعية، الهوية التاريخية، الهوية الاجتماعية والثقافية.

۱- المقدمة

الهوية منسوب إلى هو، وفي اللغة بمعنى حقيقة الشيء أو الشخص التي تميِّزه عن غيره. ما من كائن بدون هويّة في عالم

الكاتب المسئول: E-mail: Naemi.zohreh@khu.ac.ir

Copyright© 2023, the Authors | Publishing Rights, ASPI. This open-access article is published under the terms of the Creative Commons Attribution- NonCommercial 4.0 International License which permits Share (copy and redistribute the material in any medium or format) and Adapt (remix, transform, and build upon the material) under the Attribution-NonCommercial terms.

الوجود. إنّ الهوية بكلّ أواصرها هو سجلّ كل شعبٍ أو قومٍ أو معتنقي الأديان. إنّ هوية أية أمة هي صفاتها التي تميّزها عن باقي الأمم لتعبِّر عن شخصيتها الحضارية.(هنتنجتون، ١٩٩٩: ١١٦)

"الهوية تتحدّد في مجموعة من المقوّمات الأساسية المتجسدة في:

أ-اللغة الوطنية واللهجات المحلية

ب- القيم الدينية والوطنية المتكونة عبر العصور

ج-العادات والتقاليد

د-التاريخ النضالي الذي ينسجه الشعب من أجل الحفاظ على الهوية". (زغير، ٢٠٠٧: ٤٤٦-٤٤٩)

هذه المقوّمات التي ذكرها محمد زغير في كتابه، يؤكد على الهوية اللغوية، الهوية الدينية، الهوية الاجتماعية والهوية التاريخية على الترتيب.

العامل الأساسي الذي يقدر على توحيد الهويات بأسرها هي الهوية الدينية لأنّ الإنسان لديه هذا الميل بطبيعة الحال. (اكبرى، ١٣٨٧: ٢٢٤) هذه الورقه تستهدف إلى دراسة كربلاء وعاشوراء وأثرهما بل آثارهما في الحفاظ على الهوية التاريخية والاجتماعية والثقافية للشيعة في الشعر الشيعي القديم من العصر الإسلامي إلى أيام البويهيين، مرتكزةً على شعر الكميت بن زيد الأسدي، السيد الحميري، دعبل الخزاعي، أبوفراس الحمداني، ديك الجن الحمصي، منصور النمري، الصنوبري، مهيار الديلمي، الشريف المرتضى، الشريف الرضي، مبنيةً على منهج تحليل المحتوى النوعي؛ يُعدّ منهج تحليل المحتوى النوعي إحدى مناهج البحث التي تُستعمل لتحليل البيانات النصية كثيرا. تُستخدم هذه الطريقة في الإثنوغرافيا وعلم النفس وعلم الاجتماع والعلوم السياسية والبحوث التاريخية. يركّز هذا المنهج على خصائص اللغة كوسيلة اتصال للحصول على معنى النص ومحتواه وتفسيره ووصفه. في هذا المنهج، لا يكون المحتوى الظاهر للنص ذا قيمة فحسب، بل يجب على الباحث أيضاً استخدام استنتاجه وحكمه وتفسير المحتوى المخفي للنص. (ايمان ونوشادي، ١٣٩٠: ١٧-١٨)

غير أنّنا لاننسى أنّ حزب الشيعة كان حزبا سياسياً وعقائدياً ذا علاقة بالدين الإسلامي فنحن بصدد دراسة هاتين الهويتين ضمن الهوية الدينية لأنّ كربلاء، وهي محور بحوثنا في هذا المقال، جزء من الأجزاء الاعتقادية الأساسية عند الشيعة كما لايخلو بحثنا عن الهوية السياسية بسببٍ مرّ ذكره. هذا والتاريخ والهوية التاريخية ليس إلا عاكساً كل الأبعاد المختلفة في المجتمع من الثقافة، والسياسة، والاجتماعة، والاقتصاد، والدين و... . من المناسب أن نذكر في سياقنا هذا، أنّ الأركان الأساسية العقائدية عند الشيعة ثلاثة: الغدير، كربلاء، والانتظار فهذه المقالة كما أسلفنا ستركز على الثاني منها ألا وهي كربلاء.

ما ينبغي أن يقال هنا هو أنّ الهدف من هذه الدراسة ليس فهم الماضي فقط ولكن الوقوف على أحداث الماضي والانتفاع بها في فهم الحاضر والتخطيط للمستقبل.

أمّا الأسئلة التي تطرح نفسها في هذا المجال ونحن بصدد الإجابة عنها هي:

١- ما هو دور كربلاء في تحكيم الهوية التاريخية للشيعة في الشعر العربي القديم؟
٢- ما هي الموضوعات التاريخية التي تطرّق الشعراء الشيعيين القدماء إليها؟
٣- ما هو دور كربلاء في تحكيم الهوية الاجتماعية والثقافية للشيعة في الشعر العربي القديم؟
٤-ما هي الموضوعات الاجتماعية والثقافية التي تطرّق الشعراء الشيعيين القدماء إليها؟

١-١خلفية البحث

تصدّى الباحثون لقضية كربلاء و دور واقعة عاشوراء واستشهاد الإمام الحسين (ع) في إحياء الشيعة ومعتقداتهم بجميع أنواعها؛ كما أنّ المدوّنة الشعرية العربية تزخر بالبحوث التي تجعل الإمام الحسين (ع) وقيامها مادّتها وموضوعها وتنظر إليه من زوايا مختلفة إلّا أنّ هذه البحوث مالت إلى الشعر العربي المعاصر أو قامت بالمقارنة بينه وبين الشعر الفارسي المعاصر؛ وإن تطرقت إلى الشعر العربي القديم فهي في أغلبها قامت بدراسة شخصية الإمام الحسين (ع) أو رثاءه؛ على هذا، ما وجدت الباحثة بحثا أدبيا يشير إلى دراسة الهوية الشيعية والحفاظ عليها من خلال الشعر العربى القديم. فهذه الورقة تتطرق إلى دور الشعراء الشيعة القدماء في الحفاظ على الهوية الشيعية وإحياءها مرتكزةً على كربلاء والإمام الحسين (ع) من خلال أشعارهم. من هذه البحوث التي تقدّم ذكرها يمكننا أن نشير إلى ما يلي:

أ) نشرَ فرامرز ميرزايى (١٣٨٣) مقالةً باسم "قيام امام حسين (ع) و شعر نو ادبيات معاصر عربى. (قيام الإمام الحسين (ع) و الشعر الحرّ في الأدب العربي المعاصر)كما يظهر من العنوان أنّ هذه الورقة تطرّقت إلى الشعر العربي المعاصر ودراسة واقعة عاشوراء فيه فلا علاقة لها بمقالتنا موضوعا وزمنا؛ لأنّ ورقتنا هذه تدرس مدى تأثير واقعة كربلاء في الهوية الشيعية كما أنها تقف عند الشعر العربي القديم والمقالة المذكورة أعلاها تهتم بالشعر العربي المعاصر.

ب) درست زهرة ناعمي (١٣٨٧) في أطروحتها باسم "بررسى و تحليل نمادهاى دينى در شعر شيعه در قرون نخستين" (دراسة الرموز الدينية في الشعر الشيعي في القرون الأولى) دراسة سوسيولوجية للرموز الشيعية في الشعر العربي القديم كالرموز المكانية والزمانية ورمز الشخصيات الدينية من حيث أنها حقيقية و من أصل الدين أو غيرحقيقية وليست جذورها في أصل الدين بل لها أصول ثقافية. والحال أن موضوع دراستنا هذه هو دراسة الهوية الشيعية المنبعثة من واقعة عاشوراء؛ فمن مطالعة هذه الأطروحة يتبيّن للقاريء أنّ هناك اختلاف ملحوظ بينها و بين موضوع مقالتنا هذه.

ج) " غلامرضا جمشيدىها و عليرضا قبادى (١٣٨٦) في مقال لهما باسم تحليل جامعهشناختى از مراسم و مناسك دينى با تاكيد بر مراسم عاشورا" في (التحليل الاجتماعي للطقوس الدينية مع التركيز على عاشوراء) تطرّقا في بحثهما هذا، إلى التقاليد الشيعية العاشورائية في إيران. لذلك موضوع هذه المقالة يختلف عن موضوع المقالة الحاضرة.

د) كاووس حسن لى وغلامرضا كافى (١٣٨٦) في مقالة "ويژگىهاى شعر عاشورايى از آغاز قرن چهارم تا پايان قرن نهم (ميزات الشعر العاشورائي من القرن الرابع إلى القرن التاسع) اتّخذا الشعر الفارسي القديم مادةً لبحثهما من خلال

القرون المحدّدة. فهناك اختلاف أساس بين هذه المقالة ومقالتنا من حيث اختيار لغة المادة الأدبية فهي اختارت الشعر العاشورائي الفارسي ومقالتنا تقوم بدراسة الشعر العاشورائي العربي. خليق بالإشارة أنّ مقالتنا تدرس الهوية الشيعية ولا ميزات الشعر العاشورائي فقط.

هـ) حسين پور احمدى (١٣٨٨)في أطروحته باللغة الفارسية المعنونة بـ "فرآيند تحولات مراسم ومواسم شيعه اماميه در شرق عالم اسلامى (از آغاز تا قرن دهم هجرى قمرى)" (معالجة تطورات التقاليد واالآداب الشيعية الإمامية في شرق العالم الإسلامي من البداية حتى القرن العاشر الهجريالقمري)تطرّق إلى التقاليد الشيعية من خلال التاريخ ولا الأدب.

و) السيد حسين السيدي وهوشنگ استادي (١٣٨٨) في مقال لهما تصدّيا لمضامين الشعر الشيعي القديم والبنية اللغوية له وذلك يحمل عنوان "تجلى عاشوراء والثورة الحسينية فيالشعر الشيعي " فإنّها تختلف عن موضوع المقالة الحاضرة موضوعا ومضمونا.

وهناك مقال يحمل عنوان "تجلى عاشوراء والثورة الحسينية فيالشعر الشيعي " للسيد حسين السيدي وهوشنگ استادى، منشورة في فصلية "شيعهشناسى" في العدد ٢٨ سنةَ ١٣٨٨. هذه المقالة تصدّت لمضامين الشعر الشيعي القديم والبنية اللغوية له. فإنّها تختلف عن موضوع المقالة الحاضرة موضوعا ومضمونا.

ز)كتب عبد العلي آلبويه لنگرودي ونرگس أنصاري (١٣٨٩) مقالة باسم "سيماى امام حسين (ع) در شعر عاشورايى معاصر فارسى و عربى با تكيه بر اشعار برجسته شاعران سده اخير".(الشعر العاشورائى المعاصر في الفارسية والعربية في ضوء القصائد المتميزة لشعراء القرن الأخير) هذه المقالة مثل المقالة السابقة تبحث عن شخصية الإمام الحسين (ع) في الشعر المعاصر العربي والفارسي فلا علاقة لها بموضوع مقالتنا هذه.

ح) على پيراني شال و حسين روستايى (١٣٩١) في مقال لهما باسم "رثاء الإمام الحسين (ع) في ملحمة عيد الغدير" تطرقا إلى"ملحمة عيد الغدير" لبولس سلامة، الشاعر المسيحي المعاصر، مادةً لبحثهما. فقاما بدراسة الإمام الحسين (ع) وبيان فضائله وتبيين عظمة مصيبته فيها؛ فإنها تختلف تماما عمّا درسناه في مقالتنا موضوعا ومضمونا وهدفا وزمنا.

ط) شخصيت نمادين امام حسين (ع) در شعر شريف مرتضى" (شخصية الإمام الحسين (ع)الرمزية في شعر الشريف المرتضى) عنوان مقالة كتبها صابرة سياوشي ومولا شكاري مير (١٣٩٢)". الكاتبان ركزا في المقالة المذكورة على الجوانب الفردية والاجتماعية لشخصية الإمام الحسين (ع) في شعر الشريف المرتضى. مع أنّ الباحثان اختارا مادّتهما من الشعر الشيعي القديم لكنّ موضوع دراستهما فيها يختلف عمّا نتابعه في مقالتنا.

ى)پيمان صالحي و سهراب سهيلي گيلان (١٣٩٥) كتبا مقالة باسم "عاشورا و امام حسين در اشعار شاعران فارسى و عربى معاصر" (عاشوراء والإمام الحسين في شعر الشعراء العرب والفرس) . كما يوحي اسم هذه الورقة أنّ المحورَين الأساسيَين فيها: الشعر العربي المعاصر والشعر الفارسي المعاصر ومقارنة عاشوراء بينهما والحال أنّ موضوع المقالة

الحاضرة دراسة عاشوراء من منظور الهوية الشيعية؛ وقد تمّ إنجاز ذلك عن طريق الشعر العربي القديم ولا المعاصر.

ك) هناك مقال معنون بـ " امام حسين، اسوه پايدارى در شعر مظفر النواب"، (الإمام الحسين، أسوة المقاومة في شعر مظفر النوّاب) لباحثان ابوالحسن امين مقدسي ومهدى شاهرخ (١٣٩٥). مظفر النواب، الشاعر الشيعي العراقي المعاصر، استخدم شخصية الإمام الحسين (ع) رمزا وقناعا للمقاومة والمثابرة ضد الظلم فالباحثان في هذه المقالة اهتمّا بدراسة شخصية الإمام في شعر هذا الشاعر العراقي.كما ظهر أنّ المحور الأساس في هذه المقالة تختلف اختلافا كبيراً عن موضوعنا.

ل)وهناك مقالة معنونة بـ "بررسى تطبيقى رثاى امام حسين (ع) در شعر شريف رضى و محتشم كاشانى" (رثاء الإمام الحسين (ع) فيشعر الشريف الرضي ومحتشم كاشاني، دراسة مقارنة)كتبها محمودرضا توكلى محمدى ومحسن قربانى حسنارودى (١٣٩٥). ". مع أنّ هذه المقالة تتصدى للشعر الشيعيالقديم لكنّها تتطرق إلى المضامين العاشورائية عند الشاعرين فقط و لهذا موضوعها يختلف عن موضوع المقالة الراهنة التي تسعى إلى دراسة أنواع الهوية الشيعية.

٢- مفهوم الهوية وأنواعها

من أنواع الهوية البشرية هي الهوية التاريخية. تتضح أهمية الهوية التاريخية عندما نعلم أنّها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالهويه الدينية والاجتماعية والثقافية وحتى السياسية و يمكن أن تشملهم جميعا.

من بين المكوّنات الذهنية للهوية، الوعي التاريخي والانتماء التاريخي له أهمية بالغة. الوعي التاريخي هو معرفة تاريخية يهتمّ بها الفرد والمجتمع. يتضمن هذا التعريف ثلاثة أبعاد:

١) المعرفة التاريخية، وهي تعني الوعي بأهم الأحداث والشخصيات التاريخية.

٢- الانتماء إلى الذاكرة التاريخية، وذلك يعني وجود مشاعر وانفعالات إيجابية وسلبية تجاه الأحداث والشخصيات التاريخيه.

٣- الاهتمام التاريخي يعني الاهتمام بالماضي التاريخي. (معمار، ١٣٨٧: ٣٠٢)

في سياق هذه الذاكرة التاريخية والوعي التاريخي يتمّ تشكيل التضامن التاريخي والهوية التاريخية ويمتلك أعضاء أيّ مجموعةٍ بطاقةً هوية مشتركة.

إنّ الآداب العالمية لاسيما الشعر تحمل تاريخ الشعوب المختلفة. لايستثنى الأدب العربي من هذه القضية فشعره اكتظّ بالوقائع التاريخية، هذا و لأنّ الشعر يتحرّك بحركة المجتمع والحياة، ويترجم تفاصيلهما. فنجد أرسطو يتجاوز هذا الحد و يرى أنّ الشعر أكثر فلسفة من التاريخ وأرقى، (مكاوي، ١٩٩٥: ٦٢) "ذلك لأنّ التاريخ يترجم الأحداث الواقعة كما هي بالنقل الحرفي المرتبط بالمعاينة والرصد والأخبار، أما الشعر، فإنه يسرد الحدث وهو يستخدم خاصيته المرتبطة بالعاطفة والخيال. على أية حال، يمكن القول إنّ الشعر والتاريخ مجالان معرفيان يلتقيان حد الالتصاق في نقل الأحداث التاريخية، ولكن لكل منهما قالبه الخاص، فقد تعاونا على نقل الحقائق، وعزّز أحدهما الآخر وقوّاه، (شويع، ٢٠١٦: ١٤٧-١٤٨)

فضلا عن هذا، إنّ الشعر يحافظ على كثير من أحداثنا التاريخية، بفعل خاصيته لأنّه سهل الحفظ والرواية.

على أساس ما أتينا به من آراء الكتّاب هنا، يمكننا أن نقول إنّ الهوية التاريخية أوّل هوية يبحث عنها الإنسان.

من أنواع الهوية هي الهوية الاجتماعية والثقافية. جئنا بالهوية الاجتماعية والثقافية معا لأنّ الفصل بين الاجتماع والثقافة صعب جدّا؛ فالثقافة لاتولد إلّا وفيأحضان المجتمع.

أصبح مفهوم الهوية الاجتماعية الشغل الشاغل للمجتمعات، لأنّه يرتكز على السياق الثقافي الاجتماعي من حيث المنشأ والتكوين، ممّا زاد التأكيد الحضاري على أهمية تعزيز الهوية في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية لأنّ عملية اكتساب الهوية تُعَدّ من الوظائف الأساسية للتنشئة الاجتماعية وهي بوّابة الانتماء إلى ثقافة المجتمع، وبذلك تحافظ التنشئة الاجتماعية على كيان المجتمع وتماسكه من خلال تحقيقها لأهدافها في تكوين الشخصية الاجتماعية للفرد ليكون منسجما ومنتميا إلى مجتمعه وقادرا على المشاركة الايجابية في الإنتاج المجتمعي، فالانتماء يوجّه الإحساس بالهوية المشتركة ويشكل وعي الفرد بانتسابه إلى جماعة ما لغةً وتاريخاً وقيماً وسلوكاًوالمحافظة على الهوية والخصوصية الثقافية للمجتمع. ويؤكد ذلك أنّ الجزء الاجتماعي من الهوية يرتبط بطريقة تفسير الفرد لوجوده ضمن المجتمع وإعادة تعريف شخصيته وشعوره بالألفة والتنافس والمشاركة والمكانة ضمن الآخرين (حمّود والشمّاس، ٢٠١١: ٥٥٥) كلّ شعب له هويته الاجتماعية الثقافية وتلك تتكوّن من خلال الآداب والمعتقدات والسلوك في المجتمع.

إنّ التقاليد الاجتماعية لكلّ شريعة مستمدّة من معتقدات الشرائح المختلفة الخاضعة له وحاجياتها ونزعاتها، تظهر بأشكال مختلفة كمثل الطقوس، الرموز، الحفلات والمآتم.(پور احمدی، ١٣٨٣: ٢) أما الهوية الثقافية فمن المفاهيم التي قدّمت منظمة اليونسكو لها تعريفا، تعني أولاً وقبل كلّ شيء أنّنا أفراد ننتمي إلى جماعة لغوية محلية بما لها من قيم اخلاقية وجمالية تميّزها ويتضمّن ذلك أيضا الأسلوب الذي نستوعب به تاريخ الجماعة وتقاليدها وعاداتها وأسلوب حياتها، وإحساسنا بالخضوع له والمشاركة فيه، أؤ تشكيل قدر مشترك منه، وتعني الطريقة التي تظهر فيها أنفسنا في ذات كليّة. (المحروقي، ٢٠٠٤: ١٦٤) على هذا الأساس، فقضية الانتماء هامة جدا في تكوين هوية الإنسان، فالإنسان الذي لاينتمي بجماعة أو بدين أو لغة و...فلايستطيع أن يُعرب عن هويته؛ فهو يعاني من اللاهوية و يقع في أزمة نفسية صعبة.

هذا والهوية الإسلامية تتشكل من ثقافات الشعوب والأمم التي دخلها الإسلام سواء اعتنقته أو بقيت على عقائدها التي تؤمن بها، فهذه الثقافات التي امتزجت بالثقافة العربية الإسلامية فهي اجتماع لهويات الأمم والشعوب التي انضوت تحت لواء الحضارة العربية الإسلامية، وهي بذلك هوية إنسانية متفتحة بعيدة عن الانغلاق. (العاني، ٢٠٠٩: ١٣٨)

هذا وقد سمعنا كثيرا بأنّ الشعر ديوان العرب. لكن ما معنى هذه الجملة؟ في الإجابة يجب أن نقول إنّ هذه الجملة تعني أنّ الشعر العربي بطاقة هوية لمن ينتمي إلى العرب. فالعربيّ قادر على أن يبحث في هذه البطاقة عن هويته الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية وحتى الهوية الجغرافية. هذا و كلّ ما قلناه هنا يصدق على الشعر الشيعي القديم أيضا. فالشعراء الشيعيون بآثارهم خلقوا بطاقة هوية تاريخية للشيعة.

الهوية اجتماع لثلاثة عناصر دائماً ، هي: العقيدة التي توفّر رؤية للوجود، واللسان الذي يجري التعبير به، والتراث الثقافي الطويل المدى.(عمارة، ١٩٩٩: ٤٦) فالشيعة جمَع بين هذه الثلاثة ليصنع هوية شاملة، والشعر بينها جزء من لسانه الذي يدافع عن هويته؛ لأنّ "اللغة هي التي تأتي بعد الدين بوصفها عاملا مميزا لشعب ثقافة ما عن شعب ثقافة أخرى".(م.ن: ٥٤) ومن جهة، يقدّم الدين إجابات قوية لمن يواجه احتياجا لتحديد "مَن أنا؟"و "لمن أنتمي؟" (كاظم، ٢٠٠٩: ٢٥٩) فالشعر الشيعي ضمن الحفاظ على المعتقدات الشيعية يجيبُ عن مثل هذه التساؤلات المتعلقة بالهوية بلسان الشعر.

إنّ الأديب سواء كان شاعرا أم كاتبا، يتعاون لأجل تعميق الوعي الحضاري، (الآوسي، ٢٠٠٠: ١٢٠-١٢١) وحفظ الحضارة الإنسانية بكلّ أبعادها؛ فهو هادفا كان أو غير هادف، يمشي في طريق ترسيخ هوية شعبه.

٣- كربلاء والهوية الشيعية في الشعر العربي القديم

لايمكن لأحدٍ أن ينكر دور واقعة عاشوراء البارز والفعّال في بناء الهوية الشيعية؛ لأنّها تمنح أهمية رمزية لذاكرة الشيعة الجماعية حيث إنّها تبدّلت إلى رمز لتكوين الدواعي القوية فى قلوب الشيعة. لانستغرب إذا قلنا إنّه لايوجد حادث أشدّ تأثيرا من واقعة عاشوراء في تكوين الهوية والشعور الجماعي للشيعة على مدى العصور الإسلامية بأسرها. فيهذا القسم من هذا المقال، ننوي دراسة تأثير عاشوراء في الهوية التاريخية والاجتماعية- الثقافية الشيعية من خلال الشعر العربى القديم. لهذا أولا نتصدى للهوية التاريخية وعناصرها ومضامينها فيالشعر الشيعي ثمّ ننتقل إلى الهوية الاجتماعية- الثقافية فيه.

٣-١-كربلاء ودورها في الهوية التاريخية للشيعة

من هذا المنطلق، يصدق كل ما قلناه على الشعر الشيعي العربي، فالشاعر الشيعي منذ القرن الأول الهجري يستهدف تشكيل هويةٍ تختلف اختلافا في جميع مجالاتها عن الهويات الحية الأخرى، كما يستهدف ترسيخها عن طريق الذكر في الشعر والتكرار فيه، لأنّ الشعر هو الكنز التاريخي الفريد لكلّ شعب وعلى هذا المبنى يحافظ على هويته.فأنصار المذهب الشيعي أيضا يبحثون عن هويتهم التاريخية التي يستمدّونها من روايات المعصومين وأساليبهم للاحتفال بيوم عاشوراء والكتب والروايات التاريخية والأدب بدفّتيه النثر والشعر. المقوّمات الثلاثة التي ذكرناها للهوية التاريخية من المعرفة التاريخية والانتماء إلى الذاكرة التاريخية والاهتمام التاريخي فنجدها جميعا في الشعر الشيعى بصورة قوية.

والآن نقف عند بعض الحوادث التاريخية المتعلقة بيوم عاشوراء التي يقوم الشعراء بسردها في أشعارهم:

٣-١- ١سدّ الماء على الإمام الحسين وأصحابه

من المناسب أن نذكر في سياقنا هذا ما قاله الكميت بن زيد الأسدي في الدفاع عن حقيقة الإمام الحسين (ع) و ذكر واقعة عاشوراء فيشير إلى حادث سدّ الماء على الإمام وأصحابه في يومهم العظيم وهم أبرياء. فيرى الكميت أنّه لم ولن تلد الدنيا مخذولا أكبر من الإمام الحسين (ع):

يُحَلَّـــئنَ مـــن مـــاء الفـــراتِ وظُلِّـــه حســـيناً ولم يُشـــهَر علـــيهنَّ مُنصُـــلُ

فلـــــم أرَ مخـــــذولا أجـــــلَّ مصـــــيبةً وَأَوجـــــبَ منـــــه نُصـــــرَةً حـــــين يُخـــــذَلُ

(الصالح، ١٩٣٢: ٦٥-٦٦)

كما أشار أبوفراس الهمداني إلى حرمان الإمام الحسين (ع)من الماء في يوم عاشوراء فقال منشدا:

فَحُرمـــتُ قـــربَ الوصـــلِ منـــه، مثلَمـــا حُـــرِمَ الحســـينُ المـــاءَ وهـــوَ يـــراهُ

(الحمداني، ١٩٨٧: ٣١٢-٣١٣)

٣-١-٢عطش الإمام الحسين (ع) وأصحابه

المتصفح لديوان دعبل بن علي الخزاعي يصل إلى أبيات تؤمي إلى عطش الإمام الحسين (ع) وأصحابه وهم على شاطيء الفرات حينما يخاطب السيدة فاطمة الزهراء (س) و يتحدث معها عن عدم الصبر والقرار في هذه المصيبة العظمى فينشد بلوعة وحرارة:

أفـــاطمُ! لـــو خِلـــتِ الحســـينَ مُجـــدَّلاً وقـــد مـــاتَ عطشـــاناً بشـــطِّ فـــراتِ

إذن لَلَطَمـــتِ الخـــدَّ فـــاطمُ! عنـــده وأجريـــتَ دمـــعَ العـــينِ في الوَجَنـــاتِ

(الخزاعي، ١٤٠٩: ١٣٥)

لايفوتنا هنا أن نشير إلى ما قاله أبوفراس الحمداني بشأن هذه القضية، ونحن من هذا المنطلق، نقصد التأكيد على تسجيل بعض الحقائق التاريخية الشيعية في الشعر عن طريق الروايات المأثورة إن اعتبرنا هذه الروايات جزءا من التاريخ. فالشاعر هنا بعد ذكر عطش الإمام رَمَزَ إلى العلاقة الوديّة القويّة بين الرسول الأعظم (ص) والإمام الحسين(ع) معتمدا على الروايات المرويّة عن المعصومين (ع).

فيتعجب عمّا فعل العدوّ به وهو صاحب مقام مرموق عند النبي الأكرم(ص)، عندما ينشد حزينا:

إذ قـــال أَســـقوني فَعُـــوِّضَ بالقنـــا مِـــن شُـــربِ عـــذبِ المـــاءِ مـــا أَرواهُ

فاحتُـــزَّ رأسٌ طالمـــا مِـــن حِـــجرِهِ أَدنَتـــهُ كَفّـــا جـــدِّه ويـــداهُ

(الحمداني، ١٩٨٧: ٣١٢-٣١٣)

٣-١- ٣-لعِدّة والعُدّة لفئتي الحق والباطل فيي‌وم عاشوراء

والآن علينا بتسليط الضوء على الجوانب التاريخية العاشورائية في شعر السيد الحميري من الشعراء الشيعة في القرن الثاني الهجري والذي أنشد سبعا من قصائده في كربلاء والإمام الحسين (ع). إنّه في واحدة من هذه السبعة يقوم بملامة بني أمية و تأنيبهم لإساءتهم بإبن بنت نبيّهم وقتله وأصحابه.

فضلا عن الأبعاد الوجدانية والعاطفية التي تصدر من روح الشاعر المتألمة، تقف أعيننا على زاوية أخرى من شعره وهي ذكر الحقائق التاريخية عن كربلاء وما جرى فيها في يومها العظيم الّذي يهمّنا جدا للاعتماد عليها وتوطيد الثقة فيها وسدّ الطريق على أيّ تحريف في تاريخ الشيعة أو أيّ تزوير وتشويه في حوادثه.

هذا ولأنّ هذه القصائد أقرب إلى زمن وقوع حوادث عاشوراء فالزيف والتحريف فيها يصل إلى أقلّ درجته. لكن ما هي هذه الحقائق التي سجّلها السيد الحميري لنا في شعره؟ ما يمكن قوله خلاصةً هو إشارته إلى جيش بني أمية و عددهم الهائل الذي يصل إلى ألوف ومن ثمّ ما أعدّوا من العُدّة والأدوات الحربية القوية والملابس المناسبة للحرب من مثل الخوذات والدروع والسيوف المشرفية الصارمة والرماح الطويلة، ثمّ إشارته إلى العدد القليل لجيش الإمام الحسين (ع) وهم سبعون فقط. ينشد السيد هكذا:

جَعلوا إبنَ بنتِ نبيّهم غرضاً كما تُرمى الدَّريَّه
له بالسابغاتِ علیهمُ والمِشرَفيّه
والبِيضِ واليَلَبِ اليمانی والطِّوالِ السَمهَريّه
وهمُ أُلوفٌ وَهوَ في سبعينَ نفساً هاشميّه

(الحميري، لاتا: ۴۷۱)

فهذه الأشعار خير مثال على أنّ الشعر الشيعي يحافظ على هوية الشيعة التاريخية عن طريق هذه المعلومات التي تبدو في بدء الأمر بسيطة لكنّها تُعتبر وثائق تاريخية هامّة؛ خاصةً للمؤرخين الّذين يخوضون في غمار التاريخ للكشف عن أصالة الحوادث التاريخية وتفاصيلها.

۳-۱-۴-ضرب القضيب على ثنايا الإمام الحسين (ع)

إنّ السيد الحميري في قصيدة أخرى من قصائده الحسينية يشير إلى الحوادث التي حلّت بعد واقعة عاشوراء في مجلس يزيد عندما ضرب بالقضيب على ثنايا الإمام الحسين(ع). فنرى السيد غاضبا على هذا العمل الشنيع الأشنع ومتعجباً، لأنّ الشفاء في فمه المبارك وتقبيله. ذلك؛ فينشد ويقول:

لَم يَزَل بالقضيبِ يَعلو ثَنايا في جَناها الشِفاءُ مِن كلّ داءِ

(الحميري، ۱۹۹۹: ۲۵)

۳-۱-۵- كربلاء استمرارٌ للأحقاد البدرية

كما أسلفنا أنّ الشعر الشيعي يغلبه الحزن والألم ويرافقه الحسرة والدمعة لكنّه من خلال الإعراب عن همومه يسجّل تاريخه و هويته أيضا.

من الشعراء الشيعة الآخرين في القرن الثاني الهجري هو منصور النمري. إنّه اشتهر بالتورية والتقية في أشعاره الشيعية. ومما لا شكّ فيه هو أنّ منصور قرض أشعارا في كربلاء التي ليست لوقعتها كاذبة؛ فأودَعَ قلبه الهائم الواله إلى أهل البيت (ع) ويتكلم عن كربلاء حزيناً فيدلّنا من خلال أحزانه على حقيقة تاريخية بل وسياسية، وما هي إلا أنّ قتل الحسين (ع) في كربلاء استمرارٌ للأحقاد البدرية القديمة فيقول:

مَعاشرُ أودعتْ أيامُ بدرٍ صدورَهمُ وديعاتی العليلِ

فَلمّـــــا أمكـــــنَ الإســـــلامُ شَـــــدُّوا عليـــــه شـــــدّةَ الحَنِـــــقِ الصَـــــؤولِ
فَوافَـــــوا كـــــربلاءَ مـــــعَ المنايـــــا بِمَـــــرداةٍ مُسَـــــوَّمَةِ الخُيـــــولِ
فَأوصـــــالُ الحســـــينِ بِـــــبطنِ قـــــاعٍ مَلاعـــــبُ للـــــدَّبورِ وللقبـــــولِ

(النمري، ١٩٨١: ١٢٦-١٢٨)

مهيار الديلمي من شعراء القرن الخامس الهجري أيضا أنشد قصيدة في هذا السياق فيشير إلى هذه الحقيقة التاريخية ويسجّلها في شعره و يقول:

مُلصَـــقٌ بـــالأرضِ جســـماً، نفسُـــه فـــوق السُّـــكاك مُفـــرَّدٌ ترميـــهِ كـــفُّ البَغـــيِ عـــن قـــوسِ اشتـــراك
أَظهـــرت فِرقَـــةُ بـــدرٍ فيـــهِ أَضـــغانَ النَّواكـــي ذاكـــي الحِقـــدِ أو يَخضَـــبُ أعـــرافَ المـــذاكي

(الديلمي، ١٩٩٩: ٧٢)

٣-١-٦- بنو أمية وقتلهم الحسين (ع) ورَفعُ رأسه على الرمح

تيار الوعي التاريخي والمعرفة التاريخية يواصل طريقه في شعر سائر الشعراء الشيعة. وجدنا بينهم في القرن الثالث الهجري، ديك الجنّ الحمصي الذي يهدينا إلى بعض الأحداث التاريخية في يوم عاشوراء، يحدّثنا عن سيوف بني أمية وهي تحيط بالإمام فقطعت ومزّقت جسمه المبارك، وعن رماحهم التي يعلوها رأس الإمام والشهداء من أصحابه. الشاعر ينسى النوم والفرح عندما يتصور الإمام الحسين (ع) مخذولا ومحاطاً بالسيوف الأموية فيغلب عليه الحزن و يقول:

مـــرَّت بقلـــبي ذِكريـــاتُ بـــني الهُـــدى فَنســـيتُ منهـــا الـــرَوحَ والتهـــويما
ونظـــرتُ سِـــبطَ محمـــدٍ في كربـــلا فـــرداً يُعـــاني حزنَـــه المكـــظوما
تنحـــو أضـــالعَه سُـــيوفُ أميـــةٍ فـــتراهمُ الصَّمصُـــومَ فالصَّمصُـــوما
فالجســـمُ أضـــحى في الصـــعيدِ مُمَزَّعـــا والـــرأسُ أمســـى في الصِّـــعادِ كريما

(الحمصي، ١٩٩٤: ١١٩)

اذا اعتبرنا الدين والمعتقدات الدينية جزءا أساسياً من تاريخ كل شعب في العالم، فالشعر الشيعي في القرون الأولى هو شعر يهتمّ بأركانه الاعتقادية والذود عنها اكثر من اهتمامه بالجزئيات والتفاصيل لحقائقه التاريخية.

٣-١-٧-الشخصيات العاشورائيات وسبيهنّ

إحدى الحقائق التاريخية العاشورائية التي تُحرق قلوب الشيعة دوماً على مدى التاريخ وتجعلهم يردّدونها لا على مدار كل عصر ولا كلّ سنة بل وعلى مدار كلّ ساعة هي سبي أهل بيت الإمام الحسين (ع) بعد قتله (ع) لاسيما إسارة السيدة زينب(س) ومصيبتها الثقيلة على أهل البيت المعصومين (ع) والشيعة بأسرهم، ودورها الريادي في ما جرى بعد ذلك اليوم العظيم.

من الشعراء الشيعة الذين يشيرون إلى سبي السيدة زينب (س) وأيتام الإمام الحسين (ع) هو دعبل بن علي الخزاعي.

فهو يتكلم عن لسان السيدة زينب (س)عندما استغاثت بجدّها محمد(ص) لكي يراها وباقي الأسارى في تلك الحالة السيئة التي لاتليق بآل بيت النبي (ع) فينشد:

لم يَحفَظوا حقَّ النبيِّ محمّدٍ إذ جَرَّعوهُ حرارةً لن تَبرُدُ
قَتلوا الحسينَ وأثكلوهُ بِسبطِه فالثّكلُ مِن بعدِ الحسينِ مُبَدَّدُ
كيف القرارُ وفي السَّبايا زينبٌ تدعو بِفرطِ حرارةٍ يا أحمدُ
بالطَّفِّ حولي مِن يتامى إخوتي في الذُّلِّ قد سُلِبوا القناعَ وجُرِّدوا
يا جدُّ لو أبصرتَني ورأيتَني والخدُّ مني بالدِّماءِ مُخَدَّدُ
يا جدُّ قدأمسيتُ ممّا نالني ولِما أُعانيه أقومُ وأقعُدُ

(الخزاعي، ١٩٨٣: ٣٢٥-٣٢٨)

فضلا عن السيدة زينب (س)، أمّ كلثوم، بنت الإمام علي (ع)، من الشخصيات العاشورائية الأخرى التي تظهر على جبين الشعر الشيعي العربي القديم.

الصنوبري من شعراء القرن الرابع الهجري، يذكر اسمها في شعره عندما يروي ما جرى عليها وحرم الإمام الحسين (ع) بعد قتله (ع). إنّه علاوة على ذكر أمّ كلثوم يشير إلى اضطرارها و أهل الخيام عندما أداروا طرفهم نحو مقتل الحسين (ع) ورأوه في تلك اللحظة الصعبة المؤلمة للقلوب كما وقفت نظرة الإمام القلقة المضطربة عليهم في اللحظة عينها، لأنّه كان يعرف ماذا سيجري عليهم بعده.

ألا وإنّ هذه الحادثة المحزنة المضجرة هي قسم هامّ من واقعة عاشوراء التي حفظها الشعر كما أنّ ذكر أسماء الأشخاص الحاضرين في ذلك اليوم في الشعر يهمّ الباحثين في تاريخ الشيعة لاسيما بعد أن شكوا في حضور بعض الشخصيات العاشورائية في ذلك اليوم بل و في كون بعضهم حقيقيين. لذلك ثانية نؤكد على الهوية التاريخية الشيعية التي حافظ عليها الشعر.

فلا يفوتنا هنا أن نشير إلى أبيات من الصنوبري شاملة على ما قلناه:

أُمُّ كلثومٍ ونِسوانُها بِمَنظرٍ يُكبِرُهُ الناظرُ
يُسابِقُ الطَّرفَ إليها وقد أنحى على مَنحرِهِ الناحِرُ
وَالدَّمعُ مِن مُقلتِها قاطرٌ والدّمُ من أوداجِهِ قاطِرُ

(الصنوبري: ١٩٧٠: ١٣٠)

٣-٢- كربلاء ودورها في الهوية الاجتماعية والثقافية للشيعة

للشيعة هويتها ومعتقداتها الاجتماعية، التي تشكلت منذ الأيام الأولى. فهناك أحداث لها أثر كبير في تشكيل أركان الشيعة الاعتقادية، منها واقعة عاشوراء وما حدث في كربلاء في ذلك اليوم، لأنّها وَلَدَت للشيعة سنناً، وآداباً، ورموزاً تختصّ

بهذا الفصيل من الشعب الإسلامي. هذا و يهمّنا"وصلة الأدب بالمجتمع الذي يعيش فيه الأديب إذ يعتبر مرآة المجتمع فلابدّ من أن تجد أحداثُ تلك المجتمع و بخاصة الكبرى منها طريقها إلى كلامه ويجب على الأديب أن يبرز القيم العقدية والخلقية في إنتاجه الأدبي". (مرداني و الآخرون، ٢٠١٩-٢٠٢٠: ٢٦) و الآن نسعى إلى دراسة مضامين الهوية الاجتماعية الشيعية فيالشعر العربي القديم:

٣-٢-١-القتيل الكريم وتحقيق الأحلام

أحد الأعمال التي نراها في الشعر الشيعي وأخصّ بالذكر في شعر الكميت بن زيد الأسدي هو تطرّقه إلى أحد المعتقدات الجاهلية عندما يتحدّث عن الإمام الحسين (ع). الجاهليون كانوا يعتقدون بأنّ المرأة العقيم إذا مرّت على جدث قتيل كريم تحمل. (إبن قتيبة، ١٩٨٤: ٩٠٨) فهو عندما يتحدّث عن الإمام الحسين (ع) يعتقد بأنّ المرأة العقيم إذا طافت حول جسم الإمام الحسين (ع) المبارك فتحمل فيقول منشدا:

قتيلٌ كأنَّ المُؤَلَّهَ النُكدَ حولَه يَطُفنَ بهِ شُمُّ العرانينَ رَبرَبُ

(الكميت بن زيد الأسدي، ١٩٨٤: ٨٥)

طبعا هذه المعتقدات خرافية لكنّ ظهورها في ديوان الكميت يهدينا إلى قسم من الهوية الاجتماعية الشيعية آنذاك. جدير بالإشارة أنّ هذا الاعتقاد لانراه في شعر باقي الشعراء الشيعة الذين درسناهم في هذا البحث فكأنّه حُذف من الذاكرة الاجتماعية للشيعة.

٣-٢-٢- زيارة الإمام الحسين (ع) والتأكيد عليها

من التقاليد التي شاعت بعد واقعة عاشوراء هي زيارة الإمام الحسين (ع) وبعض أصحابه في كربلاء.

إنّ الزيارة تدلّ على احترام الشخصيات الكبار والتقرّب إلى الله تعالى، وأخيرا على إعادة عمل الملائكة لأنّ الشيعة يرى أنّ مقابر أهل البيت (ع) محلّ اختلاف الملائكة فهم في حال زيارة قبورهم دوماً.

لا ننسى أنّ " القبر حيزّ مكاني ضيّق إلا أنه يحوي الأجداد والأصول، ويقف في وجه الزمن، ويمنحنا الشعور بقوة الأجيال الماضية على الصمود في وجه التغيير، ويستوحي (الشاعر) فكرة البعث لتحريك المشاعر الإيجابية للعمل على درب المجاهدين، وإثر خطاهم، فمن ظلمات القبر تنطلق الثورة فاتخذ القبر بُعداً رمزياً عميقا." (حمّودة، ٢٠٠٦: ١٠٥)

ممّا سبق تبيّن لنا أنّ للزيارة أهمية بالغة عند الشيعة وإن تحملوا مصاعب كثيرة في هذا الطريق.

من الشعراء الشيعة الذين أشاروا إلى هذه السنة الاجتماعية القديمة هو السيد الحميري الذي يزور قبر الإمام الحسين (ع) حزينا و يدعو الآخرين إلى زيارته أيضا ويقول:

أُمـــرُر علـــى جَـــدَثِ الحســـينِ وقُـــل لأعظُـــمِهِ الزَّكيَّـــه

يـــا أعظُمـــاً لازِلـــتِ مـــن وَظفـــاءَ ساكـــبةٍ رَويَّـــه

مـــا لـــنَّ عـــيشٌ بعـــدَ رضـــ ـــك بالجِيـــادِ الأعوجيَّـــه

(الحميري، ١٩٩٩: ٢٢٦)

من هذا المنطلق نرى الشريف المرتضى، الذي كان مشتاقا إلى زيارة أبى عبدالله الحسين (ع) فيدعو أصحابه إلى كربلاء والبكاء عليه (ع):

عُـــــج بـــــالطُّفوفِ عِيسَـــــك واعقِلـــــ ـــــهنَّ فيهـــــا ولاتُجِزهـــــنَّ دارا
وابـــــك لي مُســـــعِداً لحِـــــزني وامنَحـــــ ـــــني دموعـــــاً إن كـــــنَّ فيـــــك غِـــــزارا

(الشريف المرتضى، ١٩٥٨: ٥٣)

٣-٢-٣- إعادة أعمال يوم عاشوراء

"يقول الإسلام بأنّ الاتصال مع الغيب يمكنه أن يكون أفعل عندما يجري في أثناء اللحظات الاحتفالية بالفعل الإلهي، المتصل بالوجود البشري، وقد لا يخلو هذا الاعتقادمن تأثير في اختيار المواقيت أي الأوقات التي تُقام في أثناءهاالصلوات الخمس، الشرعية، اليومية." (شلحد، ١٩٩٦: ١٦٣)

إنّ المقدسات الزمانية هو تكرار للزمان المقدس الأصلي؛ وبالتوازي مع ذلك أنّ الأزمنة المقدسة ليست مقدسة بالذات غير أنّ الحوادث الخالدة منحتها القدسية؛ بعبارة أخرى، كلّ زمن مقدس يرتبط بحادثة معيّنة لها مدلول ديني أو سياسي كمثل يوم عاشوراء (سياسي وديني) الذي يوحي بمقتل الإمام الحسين (ع) وتكريم هذا اليوم هو تذكير الزمن المقدس هذا. (خليل، ١٩٨٦: ٧٣-٧٤)

٣-٢-٣-١-عدم ملازمة الفراش والنوم المريح

انطلاقا ممّا تقدّم ذكره أنّ الشيعة يقوم بإنجاز الأعمال التي يكرّرونها في كل سنة تكريما وتبجيلا للأزمنة المقدسة عندهم. ففي أيام عاشوراء من كل عامٍ أنّ الشيعة يكرّرون بعض ما حدث في واقعة عاشوراء رجاءً في المثوبة وكشفاً عن الهموم والأحزان ومواساةً للإمام وأصحابه في مصائبهم. منها ما مضى عليه الصنوبري في عدم ملازمته الفراش؛ كيف يمكنه أن يلزم الفراش و ينام نوما مريحا وجسم الإمام الحسين (ع) مُلقىً على أرض كربلاء الحارّة الملتهبة فيقول:

لـــــيسَ مِـــــنّي فُرشـــــي ولا أنـــــا مِنهـــــا جانَـــــبَ الجنـــــبُ في الحســـــينِ الفِراشـــــا

(الصنوبري، ١٩٧٠: ٢١٨)

٣-٢-٣-٢- تمزيق الجيوب وعدم استعمال العطور

فنجد الشريف المرتضى يهدينا إلى أعمال كمثل تمزيق الجيوب، وعدم استعمال العطور فهو لايكتفي بتمزيق الجيب بل يمزّق قلبه في هذه المصيبة ويدعو أصحابه إلى هذه الأعمال أيضا. وما هو اللافت للنظر في أشعاره هو الإشارة إلى بعض هذه السنن والتقاليد العاشورائية التي باقية بعضها إلى يومنا هذا فيقول:

عُـــــطَّ تامـــــورَك واتـــــرُك معشـــــراً عَطُّـــــوا الجُيوبـــــا
واهجُـــــرِ الطيـــــبَ فلـــــم يتـــــ ـــــرُك لنـــــا عاشـــــورُ طيبـــــا

(الشريف المرتضى، ١٩٥٨: ١/٦٨)

كما يشير في الصفحة ١٤٨ من المجلد الأول من ديوانه إلى عدم شرب الماء كمثل الإمام (ع) (م.ن، ج١، ١٤٨)أو في الصفحة ١٩٣ من المجلد الثاني إلى ترك الطرب والفرح(م.ن، ج٢، ١٩٣) أو في الصفحة ٢٦٧ من المجلد الثالث إلى عدم الضحكة في يوم عاشوراء مواساةً للإمام وأصحابه. (م.ن، ج٣، ٢٦٧)

٣-٢-٣-٣-خلع العمامة والنياح على الإمام الحسين (ع) في يوم عاشوراء

هذا وهناك تقاليد وآداب تخضع للمجتمعات الشيعية ولاسيما الدول الشيعية في العصور المختلفة. منها البويهيون الشيعة الذين أحدثوا تحولات كبيرة في تقاليد الشيعة. في سنة ٣٥٢هـ. أعلنوا رسميا أنّ يوم عاشوراء عطلة وطلبوا من الناس أن يلبسوا ملابس سوداء في هذا اليوم، ويعطّلوا المعاملات التجارية، فأقاموا في الأسواق خياماً لمأتم الإمام الحسين (ع) ومراسيم النوحة والبكاء عليه. (ابن جوزي، ١٩٩٥: ٨/٣١٩) الشريف المرتضى وأخوه، الشريف الرضي، كانا يعيشان في أيام آل بويه فتأثرا بالتقاليد الاجتماعية التي وضعتها هذه الدولة الشيعية بل وكانت لهما حرية بالغة في إظهار عقائدهم الشيعية والدفاع عنها بالنسبة إلى العصور السابقة. مثلا هو يدعو جماعة الشيعة إلى إزالة العمائم من رؤوسهم إجلالا للإمام (ع) و تكريما له(ع) لأنّه (ع) أيضا ما كانت له عمامة بعد قتله كما يدعوهم إلى إقامة المآتم له يوم عاشوراء متأثرا بالتقاليد البويهية التي أسلفنا الذكر عنها لأنّ المآتم البويهية كانت أولّ مأتم رسمي من قِبَل دولة شيعية؛ (ابن الأثير، ١٩٧٩: ٨/٥٤٩) وإن كانت إقامتها استمرارا لمآتم الأئمة الأطهار في العصور المنصرمة. فنجده يقول:

قد قلتُ للقومِ حطُّوا من عمائمِهم تحقّقا بمُصابِ السادةِ الصِّيد
نوحوا عليهِ فهذا يومُ مصرعِهِ وعَدِّدوا أنّها أيامُ تعديدِ

(الشريف المرتضى، ١٩٥٨: ١/٢٩٣)

مواصلة لما ذكرناه أنّ الشريف الرضي في قصيدته المعروفة "كربلا لازلت كربا وبلا" عندما يتحدث عن وَقاحة حاملي رأس الإمام الحسين على الرمح مجرّدا عن العمامة وفظاظتهم، يدعو الآخرين إلى إزالة عمائمهم ويرى أن عدم إزالتها نوع من التهتك والوقاحة إزاءه (ع).

٣-٢-٣-٤-ارتداء ملابس العزاء الحسيني

كما يشير إلى إساءتهم الأدب تجاهه (ع) لعدم ارتداءهم ملابس خاصة للعزاء. حريٌّ بالذكر أنّ الشيعة في أيام آل بويه كانوا يلبسون ثيابا خاصة للعزاء في يوم عاشوراء فالقسم الأخير من البيت المذكور يدلّنا على هذا الأمر فيقول:

حَملوا رأساً يُصلّون على جدِّه الأكرمِ طَوعاً وإبا
يَتَهادى بينهم لم يُقضوا عَمَمَ الهامِ ولا حَلّوا الحُبى

(الشريف الرضي، ١٩٩٩: ١/٩٦)

٤- النتائج

إنّ كربلاء جزءٌ من تاريخ الشيعة وهويتهم التاريخية فالشعراء الشيعة حفظوها في دواوينهم كما حافظوا على المعرفة التاريخية العاشورائية والوعي التاريخي لهذه الواقعة العظمى. فأشاروا إلى بعض ما حدث في ذلك اليوم إلّا أنّ هذه الإشارات التاريخية أو بعبارة أفضل المعارف التاريخية كليّة من دون ذكر التفاصيل. هذه المعارف المدروسة في هذه الورقة هي سدّ الماء على الإمام الحسين (ع) وأصحابه، عطش الإمام الحسين (ع)، العِدّة والعُدّة لجيش الإمام الحسين (ع) وجيش بني أميّة، ضرب القضيب على ثنايا الإمام، الأحقاد البدرية وأثرها في وقوع حادثة عاشوراء، بنوأميّة وقتلهم الحسين (ع) ورفع رأسه المبارك على الرمح والإشارة إلى النساء العاشورائيات وإسارتهنّ. فكلّ هذه القضايا التاريخية المذكورة تشكل قسما من الهوية التاريخية الشيعية التي حفظها الشعراء لنا. ما يهمّنا في هذه الهوية التاريخية هو أنّ هذه القصائد أقرب إلى زمن وقوع حادث عاشوراء فالزيف والتحريف فيها يصل إلى أقلّ درجته خاصة في بعض الموضوعات التي وقعت محلّ الشكّ والترديد.

فضلا عن الهوية التاريخية، قامت هذه المقالة بدراسة الهوية الاجتماعية والثقافية التي برزت في الشعر الشيعي. التقاليد الاجتماعية والآداب الثقافية التي ظهرت في الشعر الشيعي القديم تشكل هذا النوع من الهوية الشيعية. وعلاوة على هذا، فدراستها تسلّط الضوء على المجتمع العربي في تلك السنوات الماضية والقرون الخالية. التقاليد الاجتماعية الشيعية التي ظهرت من خلال هذه الدراسة هي زيارة الإمام الحسين(ع) والتأكيد عليها، فإنّها تُحدث آدابا اجتماعية ثقافية تختصّ بهذه الشريحة من المجتمع الإسلامي. وأيضا إعادة أحداث عاشوراء تندرج ضمن هذه التقاليد الاجتماعية فمنها: عدم ملازمة الفراش، وعدم الرغبة في النوم المريح الحلو، تمزيق الجيوب وعدم استعمال العطور، خلع العمامة والنياح على الإمام الحسين (ع) وارتداء ملابس العزاء الحسيني.

فهذه الآداب الاجتماعية والثقافية ليست ذات بُعد وجداني عاطفي فقط – وإن كان أبرز الأبعاد في شعر الشيعة– بل لها أبعاد سياسية، وروحية أيضا. فالشاعر يتمسك بها لتحكيم الوحدة بين أبناء قومه، ويفكر في نقل هذه الآداب إلى أجيال لاحقة، ويسعى إلى تقليل آلام الشيعة المضطهدة طوال التاريخ وإبعاد الضغوط الروحية والاضطرابات عنهم لأنّ الشيعة كحزب سياسي في العصور القديمة كان هدفا للعدوّ وأركانه كانت متزلزلة، وتحكيمها يفتقر إلى التحريض والتشجيع للقيام ضد العدوّ واسترداد حقوقهم وتثبيتها وإيجاد الوحدة بين أبناءها، فللشعراء دور أساسي في تحقيق هذه الأهداف، فنرى الشعراء الشيعة القدماء لا يميلون كثيرا إلى بيان تفاصيل القضايا التي حدثت لهم من مثل تفاصيل واقعة عاشوراء، بل يتحدثون عن الكليات التي تتشكل أسس هذه المعتقدات.

المصادر والمراجع

١- الآوسي، سلام كاظم (٢٠٠٠). الرؤيا والتشكيل في الشعر الأدبي المعاصر. أطروحة دكتوراه. كلية التربية. ابن رشد جامعة بغداد.

٢- ابن الأثير (١٩٧٩). الكامل في التاريخ. ج ٨. بيروت: دارصادر.
٣- ابن جوزي (١٩٩٥). المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. ج٨. تحقيق سهيل زكار. بيروت: دار الفكر.
٤- الأسدي، الكميت بن زيد (١٩٨٤): هاشميات الكميت. تحقيق داود سلّوم ونوري حمّودي القيسي، بيروت، عالم الكتب.
٥- اكبرى، بهمن (١٣٨٧). بحران هويت و هويت دينى.پيك نور.سال ششم. ش٤. صص٢١٩-٢٣١.
٦- ايمان، محمد تقى و محمودرضا نوشادى (١٣٩٠). تحليل محتواى كيفى. مجله پژوهش. ش٢.
٧- پور احمدى، حسين (١٣٨٣). فرآيند تحولات مراسم ومواسم شيعه اماميه در شرق عالم اسلامى (از آغاز تا قرن دهم هجرى قمرى). رساله دكترى. دانشگاه تربيت مدرس.
٨- الحمداني، أبو فراس (١٩٨٧). ديوان الأمير أبي فراس الحمداني. تحقيق محمد التونجي. دمشق: المستشارية الثقافية الإيرانية.
٩- الحمصي، ديك الجنّ (١٩٩٤). ديوان ديك الجنّ الحمصي. تحقيق أنطوان محسن القوّال. ط٢. بيروت: دار الكتاب العربي.
١٠-حمّود، فريال، عيسى الشمّاس (٢٠١١). مستويات تشكل الهوية الاجتماعية وعلاقتها بالمجالات الأساسية المكونة لها لدى عينة من طلبة الصف الأول الثانوي من الجنسين. مجلة جامعة دمشق. ج ٢٧.
١١- الخزاعي، دعبل بن علي (١٤٠٩). ديوان دعبل بن علي الخزاعي. تحقيق عبد الصاحب عمران الدجيلي. ط٢. قم: منشورات الشريف الرضي.
١٢- ـــــــــــــــ (١٩٨٣). شعر دعبل بن علي الخزاعي. تحقيق عبدالكريم الأشتر. ط٢. دمشق: مجمع اللغة العربية.
١٣- خليل، خليل أحمد (١٩٨٦). مضمون الأسطورة في الفكر العربي.ط٣. بيروت: دارالطليعة.
١٤- الديلمي، مهيار (١٩٩٩). ديوان مهيار الديلمي. ج ٢. شرح أحمد نسيم.ط١. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
١٥- الدينوري، إبن قتيبة (١٩٨٤). المعاني الكبير في أبيات المعاني. بيروت. دار الكتب العلمية.
١٦- زغير، محمد عبده (٢٠٠٧). لغة الطفل في عصر العولمة. القاهرة: دارالعلوم.
١٧- السيد الحميري (لاتا). الديوان. تحقيق شاكرهادي شكر. بيروت: دارمكتبة الحياة.
١٨- ـــــــــــــــ (١٩٩٩). الديوان. شرح ضياء حسين الأعلمي. بيروت: مؤسسة النور للمطبوعات.
١٩- الشريف الرضي (١٩٩٩). ديوان الشريف الرضي. ج١. شرح محمود مصطفى حلاوي. ط١. بيروت: شركة دارالأرقم بن أبي الأرقم.

٢٠- الشريف المرتضى (١٩٥٨). ديوان الشريف المرتضى. تحقيق رشيد الصّفار. لامكا: دار إحياء الكتب العربية.
٢١- شلحد، يوسف (١٩٩٦). بنى المقدس عند العرب قبل الإسلام وبعده. تعريب: خليل أحمد خليل. الطبعة الأولى. بيروت: دار الطليعة
٢٢- شويع، سلمان ساجت (٢٠١٦). الحوادث التاريخية في شعر أبى تمّام. مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع. العدد ٢.
٢٣- الصالح، صالح على (١٩٣٢). القصائد الهاشميات والقصائد العلويات. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
٢٤-الصنوبري (١٩٧٠). ديوان الصنوبري. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دارالثقافة.
٢٥- العاني، خليل نوري مسيهر (٢٠٠٩). الهوية الإسلامية فيزمن العولمة الثقافية. ط١ . بغداد: مركز البحوث والدراسات الإسلامية/ ديوان الوقف السني.
٢٦- عمارة، محمد (١٩٩٩). مخاطر العولمة على الهوية الثقافية. ط١. مصر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر.
٢٧- كاظم، ثائر رحيم (٢٠٠٩). العولمة والمواطنة والهوية. مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية. عدد١. مجلد٨. صص٢٥٣-٢٧٢.
٢٨- المحروقي، حمدي حسن (٢٠٠٤). دور التربية في مواجهة تداعيات العولمة على الهوية الثقافية. مصر: منشورات جامعة عين شمس.
٢٩-مرداني، عفت و سمية حسنعليان وحميد احمديان (٢٠١٩-٢٠٢٠). الإحالة وتوظيفها في تماسك القصيدة الدينية عند الشريف المرتضى قصيدة الغدير نموذجا. مجلة دراسات في العلوم الإنسانية. العدد ٢/٢٦. صص٢٥-٤٤.
٣٠- معمار، رحمت الله (١٣٨٧). سنجش گرايش به هويت تاريخى. تهران: اداره كل مطالعات مركز تحقيقات و سنجش برنامه‌اى سازمان صدا و سيما.
٣١- مكاوي، عبدالغفار (١٩٩٥). شعر وفكر. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٣٢- النمري، منصور (١٩٨١). شعر منصور النمري. تحقيق الطيّب العشّاش. دمشق: دارالمعارف.
٣٣- هنتنجتون.صامويل (١٩٩٩). صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي. ترجمة: طلعت الشايب.

المصادر باللغة الإنجليزية

References

[1] Akbari. B., (٢٠٠٨). The Crisis of Identity and Religious Identity, Peyk Noor, Year ۶, Vol. ۴, pp. ٢١٩-٢٣١.(in persian)
[2] Al-Ani. Kh., (٢٠٠٩). Islamic Identity in the Time of Cultural Globalization. Edition ١. Baghdad: Center for Islamic Research and Studies /Divan Al waqf Al sani.(in Arabic)
[3] Al-Asadi, Al-Kumait bin Zaid, (1984): *Hashemiyat Al-Kumait*. Investigation

by Daoud Salloum and Nuri Hamoudi Al-Qaisi, Beirut, the world of books. (in Arabic)
[4] Al-Aussi, S. K., (٢٠٠٠). 'Vision and Formation in Contemporary Literary Poetry'. Ph.D. Thesis. College of Education, Ibn Rushd University of Baghdad.(in Arabic)
[5] Al-Dailami. M., (١٩٩٩). *Diwan Mihyar Al-Dailami*. Vol. ٢. Explained by Ahmed Nasim. First Edition. Beirut: Al-Alamy Foundation for Publications. (in Arabic)
[6] Al-Dinavari, Ibn Qutayba, (1984). *The Great Meanings in the Verses*. Beirut. Scientific Book House. .(in Arabic)
[7] Emarah. M., (١٩٩٩). *The Dangers of Globalization on Cultural Identity*. ١ Edition. Egypt: Dar Nahdet Misr for Printing and Publishing.(in Arabic)
[8] Iman, Mohammad Taghi and Mahmoud Reza Noshadi (2011). 'Qualitative content analysis'. *Research Journal*. Vol.2.
[9] Al-Hamdani. A., (١٩٨٧). *Court of Emir Abi Firas al-Hamdani*. investigation by Muhammad al-Tunji. Damascus: Iranian Cultural Adviser.(in Arabic)
[10] Hammoud. F& Issa al-Shammas, (٢٠١١). 'Levels of Social Identity Formation and its Relationship to the Main Areas of Composition for a Sample of First-Grade Students of Both Genders'. *Damascus University Journal*. Vol. ٢٧.(in Arabic)
[11] Al-Homsi, D., (١٩٩٤). *Diwan Deek Al-Jin Al-Homsi*. investigation by Antoine Mohsen Al-Qawwal. Second Edition. Beirut: Dar Al-Kitaab Al-Arabi.(in Arabic)
[12] Huntington. S. (١٩٩٩). The Clash of Civilizations, Remaking the World Order. translated: Talat Al-Shayeb.(in Arabic)
[13] Ibn Al-Atheer, (١٩٧٩). *Al-Kamil fi Al-Tarikh*. Vol. ٨, Beirut: Dar Sader. (in Arabic)
[14] Ibn Jouzi. (١٩٩٥). *The Regular On the History of Kings and Nations*. Vol. ٨, investigation by Sohail Zakkaar. Beirut: Dar Al Fikr.(in Arabic)
[15] Kazim. Th., (٢٠٠٩). 'Globalization, Citizenship and Identity'. *Al-Qadisiyah Journal in Arts and Educational Sciences*. Issue ١. Vol. ٨. Pp. ٢٥٣-٢٧٢.(in Arabic)
[16] Khalil. Kh., (١٩٨٦). *The Content of the Legend in Arab Thought*. Third Edition. Beirut: Dar Al Talia.(in Arabic)
[17] Al-Khuzaie. D., (١٤٠٩). *Court of Dabal Bin Ali Al-Khuzai*. investigation by Abdul-Saheb Imran Al-Dujaili. second edition. Qom: Al-Sharif Al-Radhi Publications.(in Arabic)
[18] Al-Khuzaie.D., (١٩٨٣). The poetry of Daabal Bin Ali Al-Khuzai. investigation by Abdul-Karim Al-Ashtar. Second Edition. Damascus: The

Arabic Language Academy.(in Arabic)
[19] Al-Mahrouqi. H., (٢٠٠٤). *The Role of Education in Confronting the Repercussions of Globalization on the Cultural Identity*. Egypt: Ain Shams University Publications.(in Arabic)
[20] Makawi. A., (١٩٩٥). *Poetry and Thought*. Egyptian General Book Authority. (in Arabic)
[21] Mardani, Effat, Somaya Hassanalian and Hamid Ahmadian (2019-2020). Referral and its use in the coherence of the religious poem of Sharif Al-Murtada, the poem of Al-Ghadir as a model. *Journal of Studies in the Humanities*. Vol 2/26. pp. 25-44.(in Arabic)
[22] Memar, Rahmat- allah,(2008). Measuring the tendency towards historical identity. Tehran: General Office of Studies, Research and Program Evaluation Center of the Radio and Television Organization. (in persian)
[23] Al-Nameri. M., (١٩٨١). Mansour Al-Nameri's poetry. investigation by Tayyeb Al-Ashash. Damascus :Dar Al-Maarif.(in Arabic)
[24] Pour Ahmadi.H., (٢٠٠٤). 'The process of developments in Shiite Imami rituals and ceremonies in the East of the Islamic world (from the beginning to the tenth century AH)'. PhD thesis. Tarbiat Modares University.(in persian)
[25] Al-Saleh. S., (١٩٣٢). *Hashemit Poems and Alawiyat Poems*. Beirut: Al-Alamy Foundation for Publications.(in Arabic)
[26] Al-Senoubri, (١٩٧٠). *Diwan Al-Senoubri*. investigation Ihsan Abbas. Beirut: Dar Al-Thaqafa.(in Arabic)
[27] Al sayyed Al-Hemyari, (١٩٩٩). *Al-Diwan*. Explained by Diaa Hussein Al-Alami Beirut: Al-Nour Foundation for Publications.(in Arabic)
[28] *Al sayyed Al-Hemyari. Al-Diwan*. Shaker Hadi Shukr's investigation. Beirut: Al-Hayat Library.(in Arabic)
[29] Shalhad. Y., (١٩٩٦). *Holy Foundations among the Arabs before and after Islam*. Arabic translation : Khalil Ahmad Khalil. First Edition. Beirut: Dar al-Tali'a.(in Arabic)
[30] Al-Sharif Al-Murtada, (١٩٥٨). *Court of Al-Sharif Al-Murtada*. Rashid Al-Saffar's investigation. Dar Al Ehyaa of Arab Books.(in Arabic)
[31] Al-Shareef Al-Radhi, (١٩٩٩). *Diwan Al-Sharif Al-Radi*. Vol ١. Explained by Mahmoud Mustafa Halawi. First Edition. Beirut: Dar Al-Arqam Bin Abi Al-Arqam Company.(in Arabic)
[32] Shawi`S., (٢٠١٦). 'Historical Incidents in Abu Tammam's Poetry'. *Journal of Arts, Literature, Anthropology and Sociology*. Issue ٢.(in Arabic)
[33] Zughair. A., (٢٠٠٧). *The Child's Language in the Era of Globalization*. Cairo: Dar Al-Uloom.(in Arabic)

Karbala and Ashura their Effect in the Strengthening the Shia identity (Case Study: Old Arabic Poetry from Islamic era to the Buyid State)

Zohreh Naemi*

Assistant Professor, Department of Arabic Language & Literature, Kharazmi University

Abstract

Identity means the reality of a person, thing, group and nation. There is no being without identity in the world of existence. It has different in types like historical, linguistic, religious, social and cultural identifies. This paper aims to study the effect of Karbala and the Ashura events on the historical and socio-cultural identity of Shia in old poetry, from the first to the fifth century AH, based on the qualitative content analytical method. This research is based on the poetry of ten old Shia poets. This article draws conclusions such as: Karbala is part of the history of Shias, their historical and political identities, which cannot be deciphered. The poets have preserved it in their collections, as it is a factor for the unity of the Shiites. The social and cultural morale of the Shiites on the day of Ashura, not only has an emotional dimension, but political and spiritual as well. The poet adheres to it in order to establish unity among the people, and to minimize their pain. We see old Shia poets not very inclined to explain the details of Ashura, but rather talk about the faculties that constitute the foundations of their beliefs.

Keywords: Karbala; Old Arabic Poetry; Shiite Identity; Historical Identity; Social and Cultural Identities.

* Corresponding Author's E-mail: Naemi.zohreh@khu.ac.ir

کربلا و عاشورا و تاثیر آن در استحکام بخشیدن به هویت شیعه (مطالعه موردی: شعر قدیم عربی از عصر اسلامی تا دولت آل بویه)

زهره ناعمی*

استادیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه خوارزمی

چکیده

هویت به معنای حقیقت شخص، شیء، جماعت و ملت است. هیچ یک از کائنات هستی بدون هویت نیستند. هویت انواع مختلفی دارد مانند هویت تاریخی، زبانی، دینی،اجتماعی و فرهنگی. مقاله حاضر می‌کوشد به مطالعه تاثیر کربلا و واقعه عاشورا در هویت تاریخی و اجتماعی – فرهنگی شیعه در شعر شیعی قدیم از قرن اول تا پنجم هجری بپردازد. لازم به ذکر است روش پژوهش در این مقاله روش تحلیل محتوای کیفی است. این مقاله شعر ده شاعر قدیم شیعه را مورد بررسی قرار می دهد. نتایج مقاله حاکی از آن است که کربلا بعد از قیام امام حسین (ع) جزیی جدایی ناپذیر از تاریخ شیعه، هویت تاریخی و سیاسی آن است؛ همان‌طور که عامل اساسی وحدت میان شیعیان است. و شاعران شیعه آن را در دیوان‌های خود حفظ کرده‌اندشیعه آداب و رسوم اجتماعی و فرهنگی خاصی برای روز عاشورا دارد که هویت اجتماعی و فرهنگی آن را تشکیل می‌دهد؛ در این هویت تنها بعد عاطفی اهمیت ندارد بلکه ابعاد سیاسی، روانی و دینی آن نیز مدنظر است. لذا شاعر شیعه برای تحکیم وحدت میان شیعیان و محافظت از هویت دینی آنان و نیز مصون داشتن آن از تحریفات و دروغ‌ها، در شعر خود به بیان هویت شیعه می‌پردازد. به همین دلیل شاعران شیعه در ادبیات قدیم عربی به بیان جزئیات واقعه عاشورا نمی‌پردازند بلکه از کلیاتی که پایه و اساس اعتقادات آنان را تشکیل می‌دهد، سخن می‌گویند.

واژگان کلیدی: کربلا، شعر عربی قدیم، هویت شیعه، هویت تاریخی، هویت اجتماعی- فرهنگی.

* نویسنده مسئول Email: Naemi.zohreh@khu.ac.ir